

خطبة الجمعة - الخطبة ٧٤٢ : خ ١ - الولاء والبراء ، خ ٢ - تحذير من بعض فتاوى الفضائيات.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-٢٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمه، ونسعى به ونسترشد، ونعود به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهدِه الله فلا مُضل له، وَمَن يضل فلن تجد له ولِيًّا مُرشدًا.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جد به وكفر.
وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عينُ بنظرٍ أو سمعت أذنُ بخبره. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

دِينُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالَهُ مِنْهُجٌ شَامِلٌ :

أيها الأخوة المؤمنون... دين الله جل جلاله منهُج شامل، ودستور كامل لحركة الإنسان في الحياة، فهذا الإنسان في أيام تخلفه الديني يرى منهُج الله لا يزيد عن عباداتٍ شعائرية، إن دين الله في حقيقته منهُج تعاملٍ وشعاعريٍّ، فيه عباداتٍ تعامليةٍ، وفيه عباداتٍ شعائرية، وحينما نختصر الدين إلى هذه العبادات الشعائرية الجوفاء يكون الدين قد انتهى، وقد وصف بأنه لم يبق إلا اسمه، ولم يبق من القرآن إلا رسمه، الدين منهُج شامل.

يا أيها الأخوة الكرام... كما أن الإنسان على أحد الخطين، فإن كان على أحدهما فهو بعيدٌ عن الخط الآخر..

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

إما أن تستجيب للحق وإما أن تستجيب للهوى، فإن لم تكن على الخط الأول - خط الحق - فأنت على الخط الثاني حكماً، بنص هذه الآية الكريمة:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

التّولى و التّخلّي :

من هذا القبيل هناك موضوعات كثيرة في الإسلام، اثنين لا ثالث لها، إما أن تكون على الخط الأول وهو الصحيح، وإن لم تكن كذلك فأنت على الخط الآخر غير الصحيح..

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

من هذه الموضوعات على سبيل المثال، إما أن تقول: الله، فالله يتولاك، وإما أن تقول: أنا، فالله يتخلّي عنك. فأنت بين أحد الحالين حال التّولي أو حال التّخلّي..

﴿وَلَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَةٌ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٣]

حينما افتقرتم إلى الله عزّ وجل نصركم الله وتولّكم. وأنتم أنتم وفيكم رسول الله يوم قلت: "لن نغلب من قلة" اعترزتم بقوتكم وبعدكم فتخلى الله عنكم..

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُذْبِرِينَ﴾

[سورة التوبه : ٢٥]

أنت بين موضوعتين: إما أن تكون مستجيّاً لله، وإن لم تكن كذلك فأنت متبعٌ للهوى حكماً، وليس هناك خطٌ ثالث، أنت بين حال التّولي إن قلت: الله، وحده وافتقرت إليه، وبين حال التّخلّي إن اعترزت بعلمك، أو بخبرتك، أو بقدرتك، أو بنسبك، أو بجماعتك، أو بمالك. إن قلت: الله توّلاك الله، وإن قلت: أنا تخلي الله عنك ووكّل إلى نفسك، وهذا درسٌ يحتاجه كل مؤمن في كل ساعةٍ من ساعات النّهار، بين أن تكون مفقراً إلى الله؛ وهذا موقفٌ علمي، وواقعيٌ، وصحيحٌ، أنت لا شيء ولكن الله هو كل شيء، وبين أن تتوجه أنك قويٌّ، أو غنيٌّ، أو عالمٌ، أو ذو خبرةٍ عريقة.. إلخ. فعندئذٍ تعتذرُ بها فيتخلى الله عنك.

هذا موضوعٌ ضربته مثلاً، لكن موضوع الخطبة اليوم موضوع ثالث هو: بعد أن عرفت الله وعرفت منهجه فأنت بين موقفين: موقف الولاء وموقف البراء.

الولاء و البراء :

أيها الأخوة الكرام... المؤمن بين حالين لا ثالث لهما حال الولاء وحال البراء، والولاء والبراء أصلان من أصول الدين، ولابد للمؤمن من أن يتفهم المعاني الدقيقة للولاء، الولاء هو القرب، والولاء هو المُناصرة، والولاء هو الإقرار، والولاء هو التعاون، والبراء هو البعد، والبراء هو التّخلّي.

فالولاء والبراء أيها الأخوة أصلان عظيمان من أصول الإسلام، وحينما تخلي الناس عن أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحينما تخلي الناس عن أصل الولاء والبراء تخلّي الله

عنهـم.

أـيـهـاـ الـأـخـوـةـ الـكـرـامـ...ـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ يـؤـكـدـ هـذـهـ الـحـقـيقـةـ،ـ يـقـولـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ:ـ

﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَلِئْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾

[سورة آل عمران: ٢٨]

ما فيه ذرة من الإيمان.

ياـيـهـاـ الـأـخـوـةـ...ـ لـيـسـ فـيـ كـتـابـ اللـهـ حـكـمـ فـيـ مـنـ الـأـدـلـةـ أـكـثـرـ وـلـاـ أـبـيـنـ مـنـ هـذـاـ حـكـمـ بـعـدـ وـجـوبـ

الـتـوـحـيدـ،ـ وـتـحـرـيمـ ضـدـهـ،ـ أـنـتـ إـذـاـ قـلـتـ:ـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ.ـ وـحـدـتـ اللـهـ،ـ وـمـعـنـىـ أـنـكـ وـحـدـتـ اللـهـ أـيـ أـنـكـ

آـمـنـتـ أـنـ اللـهـ وـحـدـهـ هـوـ الـمـحـيـيـ،ـ وـهـوـ الـمـمـيـتـ،ـ وـهـوـ الرـزـاقـ،ـ وـهـوـ الـمـقـيـتـ،ـ وـأـنـهـ لـاـ رـافـعـ إـلـاـ هـوـ،ـ

وـلـاـ خـافـضـ إـلـاـ هـوـ،ـ وـلـاـ مـعـطـيـ إـلـاـ هـوـ،ـ وـلـاـ مـعـزـ إـلـاـ هـوـ،ـ وـلـاـ مـذـلـ إـلـاـ هـوـ،ـ وـلـاـ

قـابـضـ إـلـاـ هـوـ،ـ وـلـاـ بـاسـطـ إـلـاـ هـوـ.ـ وـأـمـاـ الـخـلـقـ فـهـمـ بـيـدـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ،ـ يـوـضـيـ هـذـاـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ:

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ * إـنـيـ تـوـكـلـتـ عـلـىـ اللـهـ رـبـيـ وـرـبـكـمـ مـاـ مـنـ دـاـبـةـ إـلـاـ هـوـ أـخـذـ

بـنـاصـيـتـهـاـ إـنـ رـبـيـ عـلـىـ صـرـاطـ مـسـتـقـيمـ﴾

[سورة هود : ٥٥-٥٦]

الـخـلـقـ كـلـهـ أـدـوـاتـ بـيـدـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ،ـ قـدـ يـأـتـيـكـ الـخـيـرـ مـنـ اللـهـ عـنـ طـرـيـقـ زـيـدـ،ـ وـقـدـ يـأـتـيـكـ التـأـديـبـ

مـنـ اللـهـ عـنـ طـرـيـقـ عـبـيـدـ،ـ وـإـذـاـ وـحـدـتـ وـنـفـيـتـ الضـدـ أـيـ الشـرـكـ شـهـدـتـ أـنـهـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ،ـ وـمـنـ لـوـازـمـ

شـهـادـةـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ أـنـ تـوـالـيـ الـمـؤ~مـنـيـنـ،ـ وـأـنـ تـتـبـرـأـ مـنـ الـكـفـارـ وـالـمـفـسـدـيـنـ.

أـيـهـاـ الـأـخـوـةـ الـكـرـامـ...ـ أـمـاـ أـنـ تـقـيـمـ عـلـاقـةـ حـمـيـمـةـ،ـ وـأـنـ تـدـاهـنـ مـدـاهـنـةـ وـخـيـمـةـ،ـ وـأـنـ تـنـاـصـرـ،ـ وـأـنـ

تـدـافـعـ عـنـ أـهـلـ الـكـفـرـ وـالـفـجـورـ فـهـذـاـ يـنـفـيـ عـنـكـ الإـيمـانـ..

((من هوـيـ الـكـفـرـةـ حـشـرـ مـعـهـ وـلـاـ يـنـفـعـهـ عـمـلـهـ شـيـئـاـ))

[كنـزـ العـمـالـ عنـ جـابـرـ]

أـيـهـاـ الـأـخـوـةـ الـكـرـامـ...ـ آـيـةـ ثـانـيـةـ تـقـيـدـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ الدـقـيقـ -ـ مـعـنـىـ الـوـلـاءـ وـالـبـرـاءـ -ـ يـجـبـ أـنـ تـوـالـيـ

فـيـ اللـهـ،ـ وـيـجـبـ أـنـ تـتـبـرـأـ فـيـ اللـهـ،ـ أـمـاـ هـذـاـ الـذـيـ يـرـضـيـ النـاسـ كـلـهـمـ فـهـوـ مـنـافـقـ،ـ هـذـاـ الـذـيـ لـيـسـ فـيـ

حـيـاتـهـ كـلـمـةـ (ـلاـ)ـ وـلـوـ رـأـيـ مـعـصـيـةـ تـرـكـبـ فـيـ وـضـحـ النـهـارـ هـذـاـ لـيـسـ فـيـهـ مـنـ الإـيمـانـ شـيـئـاـ،ـ يـقـولـ

الـلـهـ عـزـ وـجـلـ:

﴿يـاـ أـيـهـاـ الـذـيـنـ أـمـنـواـ لـاـ تـتـخـذـوـاـ عـدـوـيـ وـعـدـوـكـمـ أـوـلـيـاءـ تـلـقـوـنـ إـلـيـهـمـ بـالـمـوـادـةـ وـقـدـ كـفـرـوـاـ بـمـاـ

جـاءـكـمـ مـنـ الـحـقـ﴾

[سورة المـتـحـنـةـ: ١]

طـبـعـاـ إـنـ أـقـمـتـ عـلـاقـةـ حـمـيـمـةـ،ـ اـنـدـمـاجـاـ شـدـيـداـ،ـ قـرـبـاـ مـتـيـناـ،ـ فـلـابـدـ مـنـ أـنـ تـتـأـثـرـ بـهـؤـلـاءـ الـمـنـحرـفـينـ

الـفـجـارـ،ـ لـابـدـ مـنـ أـنـ تـتـأـثـرـ بـتـفـكـيرـهـمـ،ـ لـابـدـ مـنـ أـنـ تـتـأـثـرـ بـتـصـوـرـاـتـهـمـ،ـ لـابـدـ مـنـ أـنـ تـتـأـثـرـ بـعـقـيـدـتـهـمـ،ـ لـابـدـ

مـنـ أـنـ تـتـأـثـرـ بـسـلـوكـهـمـ،ـ لـابـدـ مـنـ أـنـ تـتـأـثـرـ بـاـنـحـرـافـهـمـ،ـ لـابـدـ مـنـ أـنـ تـتـأـثـرـ بـقـيـمـهـمـ،ـ لـابـدـ مـنـ أـنـ تـتـحـرـفـ

مـعـهـمـ وـأـنـتـ الـمـتـضـرـرـ الـأـكـبـرـ.

الابتعاد عن الولاء لغير المسلمين :

أيها الأخوة الكرام... الإنسان الذي يدع الصلاة جحوداً بفرضيتها، ويقيم المعاشي استخفافاً بها، والذي يشرب الخمر متباهياً، الإنسان الإباحي المتقلى من أمر الدين هذا لا ينبغي أن تصادقه، بل إن صحبة الأراذل تجرح عدالتك، وعندئذ لا تقبل شهادتك، صحبة الأراذل مما يجرح العدالة، وجرح العدالة معناه عدم قبول الشهادة، لا ينبغي أن تقيم علاقة حميمة، لا ينبغي أن تستصحه لأنك إن استصحته لا ينصحك إلا بالباطل، لا ينصحك إلا بالهوى، لا ينصحك إلا بعلاقة لا ترضي الله، لا ينصحك إلا بحسب يغضب الله، لا ينبغي أن تسأله أصلاً، لا ينبغي أن تقلده، إنك إن فعلت هذا فليس من الله في شيء، كلام خطير.

يا سبحان الله!! كيف أصبح الدين عند الناس صوماً، وصلاة، وحجماً، وعمرة، وزكاة ولا شيء بعد ذلك؟ أين الولاء والبراء؟ أين الصدق والأمانة؟ ماذا قال الإمام جعفر وهو من كبار أصحاب رسول الله حينما سأله النجاشي عن الإسلام؟ عرف الإسلام بمجموعة قيم أخلاقية قال: " يا أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونسيء الجوار، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبة - أرأيت إلى صفات النبي؟ - فدعانا إلى الله لوحده، ونعبد، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء .

أرأيت إلى تعريف الإسلام من زاوية سيدنا جعفر بن أبي طالب، الذي كان مبعوث رسول الله إلى الحبشة؟ .

يا أيها الأخوة الكرام... يقول الله عزّ وجل في الآية الثانية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخِذُوا عُدُوِّي وَعَدُوكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾

[سورة المتحنة: ١]

علاقة العمل لا شأنية عليها، كل واحدٍ منا له عمل، وقد يضطر أن يقيم علاقات في حدود العمل، هذه لا تؤخذ عليها، أنا أتحدث عن علاقة حميمة، عن نزهة طويلة، عن سهرة مديدة، عن ولاء شديد، عن حب متين، أتحدث عن هذا، العلاقات التي تزيد عن علاقات العمل؛ حب، وولاء، ومناصرة، ودفاع، ومودة لإنسانٍ يترك الصلاة جحوداً بفرضيتها، يشرب الخمر متباهياً بها، يسلك سلوكاً بإباحياً مستهترًا بقيم المسلمين، مثل هذا الإنسان الفاجر المنسلخ عن دينه ينبغي أن تقيم معه علاقة حميمة.

أيها الأخوة الكرام... إذا أعطيت ولاءً لغير المؤمنين فهذا يدعو إلى الشك في إيمانك، لأن الله عزّ وجل يقول:

﴿ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾

[سورة آل عمران: ٢٨]

أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله :

يا أيها الأخوة الكرام... الإسلام ليس أفكاراً تُقرأ، أو يستمع إليها، الإسلام ليس ثقافةً تحشو بها دماغك، الإسلام ليس قراءاتٍ تقرأها، الإسلام ليس مناظر تُقتنَ بها، الإسلام ليس أخباراً تتعاطف معها، الإسلام منهجٌ كاملٌ، الإسلام سلوكٌ قويمٌ، الإسلام منهجٌ حكيمٌ.
يا أيها الأخوة المؤمنون... يقول عليه الصلاة والسلام:

((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله))

[من تخريج أحاديث الإحياء عن البراء بن عازب]

أوثق عرى الإيمان على الإطلاق الحب في الله والبغض في الله، إنك إن أحبت المؤمنين فهذا حبٌ في الله وهذا عين التوحيد، إنك إن أحبب الأنباء والمرسلين، والصحابة والتتابعين، وأولياء الله العاملين فهذا حبٌ في الله، لأن هناك تطابقاً بين حبِّهم وحب الله عزّ وجلّ، ومن ألطاف ما تشير إليه الآية الكريمة قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوْهُ﴾

[سورة التوبه: ٦٢]

بضمير المفرد، لأن إرضاء الله عين إرضاء النبي، ولأن إرضاء النبي عين إرضاء الله، فهذا الضمير المفرد الذي جاء مكان الضمير المثلثي بحسب قواعد اللغة " والله ورسوله أحق أن يرضوهما " لكن الله عزّ وجل قال:

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوْهُ﴾

[سورة التوبه: ٦٢]

فإن أحببت مؤمناً فهذا حبٌ في الله وهو عين التوحيد، إن أحببت عالماً من العلماء العاملين فهذا حبٌ في الله وهو عين التوحيد، إن أحببت تقىً ورعاً فهذا عين الإيمان وهو عين التوحيد، ولكن إن أحببت إنساناً فاسقاً لمنفعةِ أنتاك منه فهذا عين الشرك، هذا اسمه حبٌ مع الله، وشتان بين أن تحب في الله وبين أن تحب مع الله، ورد عن الإمام عليٍّ كرم الله وجهه أن: " الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وأندنه أن تحب على جور - إنسان يجور فتحبه - وأن تبغض على عدل" إنسان نصحك وكان منصفاً فأبغضته، هذا نوعٌ من أنواع الشرك.

أيها الأخوة الكرام..

((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله))

[من تخريج أحاديث الإحياء عن البراء بن عازب]

إن رأيت إنساناً يستهزئ بالدين، ويقيم على المعاصي، لا يصلٍّ لابدّ من أن تُتَكَّر عمله وأن تبغض عمله.

المؤمن الصادق لا يبغض الكفار ولكنه يبغض عملهم فقط :

أيها الأخوة... أقول لكم هذه الحقيقة، وهي حقيقةٌ مشرفة: المؤمن الصادق لا يبغض الكفار ولكنه يبغض عملهم فقط، فعمير بن وهب حينما التقى بصفوان بن أمية في مكة، في مكانٍ خالٍ من كل إنسان، قال عمير لصفوان: يا صفوان لو لا ديون ركبتي، ما أطيق سدادها، ولو لا أطفال صغار أخشع عليهم العنت من بعدي، لذهبت وقتلت محمداً وأرحتكم منه. فانتهزها صفوان بادرة وقال: أما أولادك فهم أولادي ما امتدّ بهم العمر، وأما ديونك فهي على بلغت ما بلغت، فامض لما أردت.

تروي كتب السيرة أن هذا عمير بن وهب سقي سيفه سماً، وركب راحته، واتجه إلى المدينة تحت غطاء أن يفك ابنه الأسير، هذا الغطاء الذي يدخل به المدينة وهو يريد قتل محمد ليريح الناس منه. في المدينة رأه عمر بن الخطاب فقال: "هذا عدو الله عمير جاء يريد شراً". قيده بحَمَّة سيفه، وساقه إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: "هذا يا رسول الله عدو الله عمير جاء يريد شراً". قال له النبي عليه الصلاة والسلام: "أطلقه يا عمر"، ففك قيده، قال: "ابعد عنه يا عمر، ادن مني يا عمير"، فدنا منه، قال: "عمرت صباحاً يا محمد، قال: "سلم علينا بسلام الإسلام"، قال في غلطة: ليس بعيد عهد بسلامنا، هذا سلامنا، قال: "يا عمير ما الذي جاء بك إلينا؟"، قال: أريد أن أُفدي ابني الذي هو أسير عندكم، فقال له النبي: "وهذه السيف التي على عاتقك لماذا جئت بها؟" فقال عمير: قاتلها الله من سيفه، وهل نفعتنا يوم بدر؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "يا عمير ألم تقل لصفوان لو لا ديون ركبتي لا أطيق سدادها، ولو لا صغار أخشع عليهم العنت من بعدي، لذهبت وقتلت محمداً وأرحتكم منه؟" فوقف عمير وقال: أشهد أنك رسول الله، لأن هذا الذي جرى بيبي وبين صفوان لا يعلمه أحد إلا الله وأنت رسوله.. وأسلم.. ذكرت هذه القصة لكلمة قالها عمر، قال عمر: "دخل عمير على رسول الله والخزير أحب إلى منه، وخرج من عنده وهو أحب إلى من بعض أولادي". المؤمن لا يحقد أبداً، إن كره يكره عمل المُنحرف، يكره الخيانة، يكره سوء الأمانة، يكره الكذب، يكره الظلم، لا يكره إنساناً بذاته لأنه عبد من عباد الله، لذلك لمجرد أن يتوب الإنسان الفاجر ينضم إلى جماعة المؤمنين له ما لهم، وعليه ما عليهم.

أيها الأخوة الكرام... حديث آخر:

((أوثق عرى الإيمان الموalaة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله))

[الجامع الصغير عن ابن عباس]

ينبغي ألا ترضى. "من غاب عن معصيةٍ فرضيها كان كمن شهدتها". وإن كنتم ترون هذا مبالغأً به، لو أن معصيةً وقعت في أقصى الدنيا في ألاسكا وقلت: جيد، فقد شهدت هذه المعصية، ولوك إثم فاعلها، وإن وقعت أمامك معصية فأنكرتها كنت كمن غاب عنها.

المؤمن مع الحق ولو كان صاحب الحق كائناً من كان :

يا أيها الأخوة الكرام... لو أن كلاماً منا أعلن ولاءه للمؤمنين وبراعته فقط لا غير، ولا أضيف على ذلك شيئاً، أي عليك وخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة، لو أنك واليit المؤمنين وابتعدت عن المنحرفين؛ لم تختلطهم، لم تُتم مودة عميقـة معهم، لم تجالسهم، لم تسهر معهم، لم تتسافر معهم في نزهـة طولـية، لم تشاركـهم في كسب أموالـك، لو أنك ابتعدت عن الفجـار والمنحرفين لكان هذا حفظـاً لـدينـك.

أيها الأخوة الكرام... مثلاً: إنسان منحرف، انحرافـه واضحـ، تفلـتـه واضحـ، ارتکابـه للمعاصـي واضحـ، إـنكـارـه للـديـن واضحـ، لو أنـكـ أـثـيـتـ عـلـيـهـ أـمـامـ أـطـفـالـ الصـغـارـ، هـذـاـ الطـفـلـ الصـغـيرـ أـنـتـ أـبـوهـ، وـهـوـ يـصـدـقـكـ، وـقـدـ أـثـيـتـ عـلـيـهـ، وـالـطـفـلـ يـرـىـ مـعـاصـيـهـ وـآـثـامـهـ، مـاـذـاـ أـحـدـثـ مـعـ هـذـاـ الطـفـلـ الصـغـيرـ؟ـ أـحـدـثـ خـلـاـ، اـخـلـتـ عـنـهـ الـمـواـزـيـنـ، اـضـطـرـبـتـ الـقـيـمـ، لـذـلـكـ:ـ إـنـ اللهـ لـيـغـضـبـ إـذـاـ مـدـحـ الـفـاسـقــ.

عاملـهـ بـالـإـحـسـانـ، أـيـ أـحـسـنـ إـلـيـهـ دـوـنـ أـنـ تـمـدـحـهـ، دـوـنـ أـنـ تـنـتـيـ عـلـيـهـ، دـوـنـ أـنـ تـعـظـمـهـ، إـنـكـ إـنـ فـعـلـتـ هـذـاـ أـخـلـتـ بـالـمـواـزـيـنـ وـالـقـيـمـ فـيـ الـمـجـمـعـ.

أـيـهـاـ الـأـخـوـةـ الـكـرـامـ...ـ الـمـؤـمـنـ مـعـ الـحـقـ ولوـ كـانـ صـاحـبـ الـحـقـ كـائـنـاـ مـنـ كـانـ،ـ وـلـيـسـ مـعـ الـبـاطـلــ وـلـوـ كـانـ أـقـرـبـ النـاسـ إـلـيـهـ..

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

[سورة المجادلة: ٢٢]

قضـيـةـ مـصـيرـيـةـ،ـ قضـيـةـ يـنـفـيـ عنـكـ الإـيمـانـ بـهـاـ،ـ إـنـ وـالـيـتـ عـدـوـاـ اللـهـ،ـ إـنـ أـقـمـتـ مـعـهـ عـلـاقـةـ حـمـيمـةــ هـذـاـ يـخـرـجـكـ مـنـ إـيمـانـكـ..

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

[سورة المجادلة: ٢٢]

الولاء لجميع المؤمنين :

أـيـهـاـ الـأـخـوـةـ الـكـرـامـ...ـ شـيـءـ آخرـ الـولـاءـ لـلـمـؤـمـنـيـنـ..

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات: ١٠]

يـجـبـ أـنـ تـعـلـنـ الـولـاءـ لـجـمـيعـ الـمـؤـمـنـيـنـ لـاـ إـلـىـ فـتـئـةـ مـحـدـودـةـ،ـ لـاـ إـلـىـ فـقـاعـةـ صـغـيرـةـ،ـ لـاـ إـلـىـ جـمـاعـةـ مـحـدـودـةـ،ـ يـجـبـ أـنـ تـعـلـنـ وـلـاءـكـ وـاـنـتـمـاعـكـ لـمـجـمـوعـ الـمـؤـمـنـيـنـ لـأـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ يـقـولـ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾

[سورة الحجرات: ١٠]

بلـ..

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

[سورة الأنعام: ١٥٩]

يقرُّ فضلهم ولا يجحد فضلهم، بينما الذي يدعو إلى ذاته بدعةٍ مغلفةٍ إلى الله عزَّ وجلَّ هذا من شأنه أن يبتدع ليقول: أنا وحدي على حقٍّ، وهذا من شأنه أن يتنافس مع الآخرين لا أن يتعاون معهم، وهذا من شأنه أن يُنكر عليهم فضلهم لا أن يقرُّ بفضلهم.

أيها الأخوة الكرام... تعلمون أن النبي عليه الصلاة والسلام معصومٌ بمفردٍ، بينما أمته معصومةٌ بمجموعها، وهذا يؤخذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه:

((إنْ أَمْتَيْ لَا تجتمعُ عَلَى ضَلَالٍ، إِنَّمَا رَأَيْتُمْ اخْتِلَافًا فِعْلَكُمْ بِالْسَّوَادِ الْأَعْظَمِ))

[ابن ماجه عن أنس]

على الإنسان أن يكون على الحق اجتمع الناس عليه أو تفرقوا عنه :

يا أيها الأخوة الكرام... يقول سيدنا عمر بالجابية: "أيها الناس إنني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، فقال: أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلونَ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان - موطن الشاهد في هذا الكلام - عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسته وساعته سيئته فذلك المؤمن " الإنسان إذا عاش وحده يتوهّم أو هاماً لا أصل لها، يفتقي لنفسه فتاوى لا وجود لها، أما إذا كان مع الجماعة فمسيرته تصحّح دائماً لأن إخوانه حوله ينصحونه، ويرشدونه، ويأخذون بيده.

أيها الأخوة الكرام... عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. قلت:

((يا رسول الله إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍ فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دَخَنٌ، قلت: وما دَخَنُه؟ قال: قومٌ يهدون بغير هدبي تعرف منهم وتتذكر، يفعلون أشياء تعرفها من الدين وأشياء تنكرها، قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، دعاءٌ إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قدفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بأسنتنا، قلت: مما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزموا جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ بأصل شجرةٍ حتى يدرك الموت وأنت على ذلك))

[البخاري عن أبي إِرْبَيْسَ الْحَوَالَانِي]

لابدَّ من أن تكون على الحق، اجتمع الناس عليه أو تفرقوا عنه.

أيها الأخوة الكرام... هذا كلامٌ دقيق، وهذا كلامٌ مصيريٌ يحدد مصير الإنسان، فالإنسان حينما يوالي غير المؤمنين ينحرف دون أن يشعر، ينحرف خطوةً خطوةً فإذا هو في لحظةٍ من اللحظات خارجٌ من الدين، أما إذا بقي مع جماعة المؤمنين، فإن لم يكن لهم جماعةٌ في آخر الزمان فعليه أن يتبع الكتاب والسنّة حتى يلقى الله وهو ناجٌ من فتن آخر الزمان.

يا أيها الأخوة الكرام... حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملَكَ الموت قد تخطّانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. والحمد لله رب العالمين

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تحذير من بعض فتاوى الفضائيات :

أيها الأخوة الكرام... أريد أن أعلق تعليقاً سريعاً على موضوع الخطبة الأولى، يكفيك أن توالي المؤمنين وأن تتبع عن المنحرفين؛ فهذا هو الولاء والبراء، وينبغي ألا تمدح فاسقاً، ولا فاجراً، ولا منحرفاً، ولا صاحب بدعة، إن وليت المؤمنين بقلبك، و كنت معهم، وتعاونت معهم، وابتعدت عن أهل الفجور والنفاق، ولم تثن عليهم، ولم تمدحهم فقد حقت أصلاً من أصول الدين وهو الولاء والبراء.

يا أيها الأخوة... كلّكم يعلم أن الدين هو النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال:

((لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأنتمة المسلمين وعامتهم))

[من الأذكار النووية عن تيم الداري]

فأحياناً تُتبّلِي الأمة بأدعية الدين، يرتدون لباس العلم، يمسخون الشريعة باسم التجديد، ييسرّوا أسباب الفساد باسم فقه التيسير، يفتحون أبواب الرذيلة باسم الاجتهاد، يهونوا من السنن باسم فقه الأولويات، يوالوا الكفار باسم تحسين صورة الإسلام.

أيها الأخوة الكرام... لابدّ نصّحاً للأمة وبراءةً للذمة من لفت نظر بعض الناس إلى ما ينثى في الفضائيات من فتاوى، خذوا دينكم عن الأرضيات لا عن الفضائيات، لأن فتاوى الفضائيات تتناسب مع ما يُبيّثُ في الفضائيات، إن هذا الدين لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا.

أيها الأخوة الكرام... من بعض ما يُلقي أن بعض الذين يفتون في الفضائيات هتكوا ستراً النساء المحجبات بكل ما يستطيعون، أعلنوا مراراً أن فصل النساء عن الرجال في المحاضرات بدعةً،

وأنه من التقاليد التي ليست من الإسلام، وأنه لابد من كسر هذا الحاجز بين النساء والرجال، هو يدعو إلى الاختلاط. لماذا يدعوه؟ قال: لعل شاباً يرى فتاةً فيميل إليها فيفتح الله عز وجل بينهما، هذه فتوى بُثت في الفضائيات.

أيها الأخوة... لابد للمرأة من أن تشارك في التمثيل والمسرح أيضاً، لابد من أن نجعل الغناء والملاهي مباحةً لكل المسلمين، الغناء حلال، وأن السينما حلال طيب - هكذا يذكر - وأن هؤلاء الذين اعتزلوا الفن أخطئوا، ينبغي ألا يعتزلوا لأنهم مسروقون.

فكل هذه الفتاوى وأمثالها كثير جداً، وأنا أذكر غيضاً من فيض، لذلك أنها الأخوة... إن هذا العلم دين فانظروا عندهم خذلهم.

((ابن عمر دينك إنه لحمك ودمك خذ عن الدين استقاموا ولا تأخذ عن الدين مالوا))

[كتنز العمال عن ابن عمر]

قال: المرأة التي تتبع وتشترى شهادتها كشهادة الرجل، وأن نسبة الربا القليلة لا بأس بها. كلام كثير جداً، وأوراق طويلة أمامي حول فتاوى ما أنزل الله بها من سلطان تتلى من هذه المحطات الفضائية، فتاوى تتناسب مع ما يُبث في الفضائيات، فمرة ثانية وثالثة خذوا دينكم عن تتقون بعلم وورعه، و..

((ابن عمر دينك إنه لحمك ودمك خذ عن الدين استقاموا ولا تأخذ عن الدين مالوا))

[كتنز العمال عن ابن عمر]

أمور الدين ينبغي أن تؤخذ من يوثق بعلمه وورعه :

حقيقة خطيرة ينبغي أن أضعها بين أيديكم؛ إنسان اعتمد على مثل هذه الفتاوى واطمأن واستراح وقال: أنا على حق، لأن الذي حدث الآن أن كل معصيةً مما قبّحت لها فتوى تغطيها، كل معصية حتى أشدّ معصية القرآن الكريم هدد أصحابها بحربٍ من الله ورسوله، هناك فتوى أباحتها، فكان الفتوى غطّت كل انحراف المسلمين، فأنا أقول لكل أخ يسألني عن بعض هذه الفتوى، أقول له: إن أردت الفتوى فالأمر سهل جداً، هناك فتوى، أما إن أردت التقوى فهذا شيء آخر، ابحث عن التقوى ولا تبحث عن الفتوى، هناك فتوى لكل معصية.

يا أيها الأخوة... أنت إذا كنت تملك بيتك، وأردت أن تبيعه، خرجت من بيتك فإذا دلائل في وجهك، سأله عن ثمن هذا البيت فأعطيك رقماً، وقال لك: أنا أشتريه بهذا المبلغ، هل تبيعه فوراً أم تسأل مئة دلالة آخر؟ لماذا في شأن بيتك تترى، وتتبصر، وتبحث، وتحلل، وتدرس، وتتأمل ولا تتخذ القرار إلا بعد دراسة طويلة جداً، لماذا في شأن بيع بيت تتحرى الحق، وفي شأن دينك تقبل أية فتوى بُثت من محطة فضائية تتاغم مع هوى ممولي هذه المحطة، تتاغم مع هوى من ي يريدون للناس أن يتبعوا شهواتهم؟ مرة ثانية:

((ابن عمر دينك إنك لحمك ودمك خذ عن الدين استقاموا ولا تأخذ عن الدين مالوا))

[كتاب العمال عن ابن عمر]

آخر فقرة: لو أنك فرضاً كنت في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام، واحتفلت مع أخي لك، ورفعت القضية إلى النبي، و كنت فصيحاً ذا حجة، لسناً متكلماً، ذا بيان، وأفنت النبي عليه الصلاة والسلام أنك على حق، فأفتى لك، معك الآن فتوى من رسول الله، لا من مفت، لا من عالم يشك بأمره، معك فتوى من رسول الله، استمع إلى ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام:

((لعل أحكم الحن بحجته من الآخر فإذا قضيت له بشيء فإنما أقضى له بقطعة من النار))

[مسلم عن أم سلمة]

فإذا كنت لا تتجو من عذاب الله ومعك فتوى رسول الله فكيف بفتوى لا يعلم مصدرها، ولا حال صاحبها، ولا ورع صاحبها، ولا الدافع وراءها، ولا الهدف منها؟ !! فأمور الدين ينبغي أن تؤخذ من يوثق بعلمه وورعه، أما أن تؤخذ من هذه المحطات، فملخص هذا التعليق: خذوا دينكم من الأرضيات لا من الفضائيات.

الدعاء :

اللهم اهدا فينا هديت، وعافنا فيمن عافت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنك لا يذل من وليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغرك ونتوب إليك. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زادنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك. اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهلك عنا ستراك، ولا تتسلى ذكرك يا رب العالمين. اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسأ لك شر خلقك، ونبتلى بحمد من أعطي وذم من منع، وأنت من فوقهم ولهم العطاء، وبيده حكم خزائن الأرض والسماء. اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم، فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قادر، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين